

فقه العطور

تأليف

مالك مسعد الفرح

٢٠٠٩/٧/٧ م

تقريظ

ما ساقه الشيخ أعني مالك اليميني
في الطيب ما سيق في الماضي من الزمن

جزءٌ صغيرٌ ولكن في دلالة
ومحتواه كبيرٌ لا يُملُّ سَنِي

فاق التصانيف في استيعاب مبحثه
وفي الوضوح وفي أسلوبه الحسن

إذا تصفّحته تُلفي مسائله
قد أصلت كلها بالآي والسُنن

فيه مسائل كان الشيخ أسندها
عن كل عدلٍ صحيح النقل مؤتمن

لا زلتُ تبصر ما تهوى وتسمع
ما يسُرُّ يا شيخنا بالعين والأذن

وعشتَ عمراً قرير العين مغتبطاً
بالنفس والأهل والأولاد والوطن

صلى وسلّم ربّ العالمين على
طه الحبيب الشفيع الهاشمي المدني.

بقلم: الشيخ عبد الله الشيخ محمد الحسني الشنقيطي
القائم بشؤون الوعظ والفتوى بمكتب أوقاف الذيد بالشارقة

المقدمة

الحمد لله خالق العطور، أحمدته حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه على مر العصور، وأصلي وأسلم على الطيب الزكي الطهور محمد بن عبد الله، وآله كل طيب وشكور، وعلى من سار على دربه إلى يوم النشور، وبعد:

حب الرائحة الطيبة فطرة كل إنسان، ودليل ذلك وجود علاقة حميمة بينهما على مر الدهور، وقد حرص المرء أن يقتني الطيب ولو كلفه أثمناً باهظة؛ لأنه حبيب غالي، ولقد كان الطيب صديقاً للإنسان ملتصقاً به، منذ خلق آدم وإلى يومنا هذا، وسيظل الطيب قريباً للمسلم حتى تنتهي الدنيا، ثم يصحبه في قبره، وبعد ذلك يخلد معه في جنات النعيم.

ولا يخفى على كل من يتصفح كتب البشرية حاضرها أو ماضيها، ما للطيب من نصيب وافر، حيث تنوعت الكتابة فيه بأقلام ملونة: قديمة وحديثة، مسلمة وغير مسلمة، غير أنني سأكتب بطريقة خاصة لا يهمني وافقت هذه العلاقة الوثيقة تبين أهمية الطيب بالنسبة للإنسان المسلم، وهذا بدوره يوضح أهمية الكتابة في هذا الموضوع. أو خالفت فيها غيري ممن كتب في الطيب، معتمداً في ذلك على كتاب الله وسنة رسوله، جاعلاً نصب عيني ما ورثه سلف هذه الأمة من آثار وأخبار لأصوغ منها عقداً فريداً؛ ليكون ذكرى للمتقين وأنساً للطيبين وسميته - فقه العطور -.

وقمت بتفصيل الكتاب إلى خمسة فصول كل فصل يحتوي على سؤال وإجابته، فكان هذا الكتاب مفصلاً كما يلي:

- الفصل الأول: لماذا نتطيب؟
 - الفصل الثاني: متى نتطيب؟
 - الفصل الثالث: ماذا نطيب؟
 - الفصل الرابع: متى يحرم الطيب؟
 - الفصل الخامس: متى يكره الطيب؟
- آملاً من ربي أن يجعل عملي خالصاً صواباً نافعاً إنه سميع مجيب.
- كتبه: مالك مسعد الفرح
- الإمارات - الشارقة - الند

٢٠٠٩/٧/٧ م.

الفصل الأول

لماذا نتطيّب؟

غالبية الناس يتطيّبون في أوقات كثيرة، فما الذي يدفعنا للتطيّب؟
ومن خلال تتبعي للآثار وإعمال العقل وجدت إجابات لهذا التساؤل منها:

(١) نتطيّب لأن الله طيّب يحب الطيب:

قال ﷺ: "إن الله تعالى طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود" (١).

التطيّب عند المسلم عبادة يؤجر عليها ويثاب؛ فالله يحب الطيب، والمسلم يحب ما يحبه الله، ويتطيّب لكي يحبه الله.

(٢) نتطيّب لأن رسول الله ﷺ يحب الطيب:

قال ﷺ: "حب إلى من الدنيا النساء والطيب" (٢).

وكان ﷺ يكثر منه، وإذا مشى بالليل يعرف بريح الطيب (٣)، وكان لا يسلك طريقاً فيتبعه أحدٌ إلا عرف أنه قد سلّكه؛ من طيب عرقه (٤)، وكان له وعاءٌ يتطيّب منه (٥).

وكان يستجمر بالعودة الصافية وبالعودة مخلوطة بغيرها من الطيب (٦).

وكان يبالغ في التطيّب حتى قبل إحرامه بالحج، قالت زوجته عائشة رضي الله عنها: طيبت رسول الله ﷺ عند إحرامه، فرأيت الطيب في مفرق رأسه بعد ثلاث وهو محرم (٧)، ولكثرة تطيّب النبي ﷺ لم يمت حتى احمر شعره (٨).

هذا اهتمامه بالطيب رغم أنه ﷺ لم يكن محتاجاً إليه؛ لأنه ﷺ كان طيباً بنفسه، قال عنه خادمه أنس بن مالك رضي الله عنه: "ما شممت مسكة ولا عنبرة أطيب من ريح عرق رسول الله ﷺ" (٩).

(١) الترمذي ١١١/٥، رقم ٢٧٩٩.

(٢) النسائي ٦١/٧، رقم ٣٩٣٩.

(٣) الدارمي ٤٥/١، رقم ٦٥، ٦٦.

(٤) الدارمي ٤٥/١، رقم ٦٥، ٦٦.

(٥) أبو داود ٤٧٥/٢، رقم ٤١٦٢.

(٦) مسلم ١٧٦٦/٤، رقم ٢٢٥٤.

(٧) ابن حبان ٨٤/٩، رقم ٣٧٦٨.

(٨) البخاري ١٣٠٢/٣، رقم ٣٣٥٤.

(٩) ابن حبان ٢١٢/١٤، رقم ٦٣٠٤.

بل كانت أم أنس رضي الله عنه تجمع العرق من فراش النبي ﷺ وتجعله في قوارير الطيب ^(١)، فرآها النبي ﷺ فقال: "ما هذا؟" فقالت: هذا عرقك نجعله في طيننا، وهو أطيب الطيب ^(٢). وعندما مات أنس رضي الله عنه أوصى أن يجعل في حنوطه من شعر وعرق النبي ﷺ الذي جمعه أمه ^(٣). هذا هو النبي محمد ﷺ وعرقه أطيب الطيب، ومع ذلك كان يكثر من الطيب ويحبه، فمن أحب النبي ﷺ أحب ما يحب قال ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به" ^(٤)، فحب التطيب مما جاء به النبي ﷺ، فينبغي لكل مسلم أن يحبه، وأن يكثر منه؛ لتكون محبته للنبي ﷺ كاملة.

(٣) نتطيب لأن التطيب سنة كل المرسلين عليهم الصلاة والسلام:
قال ﷺ: "أربع من سنن المرسلين: الحياء والتعطر والسواك والنكاح" ^(٥). فالرسل قدوة البشر، والتعطر من سننهم، فينبغي للمسلم أن يتعطر، وأن يجعله سنة من سننه الملازمة لحياته؛ لأنه يمشي على نهج الأنبياء، ولأن المسلم قدوة للناس، وشاهدٌ عليهم.

(٤) نتطيب لأنه فطرة البشر:
فكل نفس سوية تحب الطيب وتكره الجيفة، ولا ينكر الإنسان دافع الفطرة بداخله، التي تجذبه نحو الروائح الطيبة وتباعده عن الروائح الخبيثة، فحب الطيب علامة على سلامة الفطرة أو مرضها، فلا يحب الطيب إلا إنسان صحيح، ولا يكرهه إلا مريض.

(٥) نتطيب تشبهاً بالصالحين:
كان النبي ﷺ يأمر أصحابه بالنظافة والتطيب، وينهاهم عن ضد ذلك؛ مما أثر في نفوسهم فصاروا نموذجاً واضحاً في النظافة والتطيب، بهم نفتدي وعلى خطاهم نمشي، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (لو كنت تاجراً ما اخترت على العطر شيئاً إن فاتني ريحه ما فاتني ريحه) ^(٦). وقالت سريّة بنت ذكوان: (كنا نأتي عمر بن الخطاب بالغالي والذريّة في ذلك المسك، فيبدأ يخضب لحيته بالخلوق، ويضمخ لحيته بالغالية، ويتذرر ويستجمر) ^(٧)، وكان نعيم بن عبد الله المجرم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمر المسجد، ويحمل الحجرة قدام عمر إذا خرج إلى الصلاة في

(١) ابن حبان ٢١٢/١٤ رقم ٦٣٠٥.

(٢) مسلم ١٨١٥/٤ رقم ٢٣٣١.

(٣) البخاري ٢٣١٦/٥ رقم ٥٩٢٥.

(٤) الأربعون النووية الحديث رقم ٤١.

(٥) الترمذي ٣٩١/٣ رقم ١٠٨٠.

(٦) إصلاح المال ٨١/١ رقم ٢٥١.

(٧) عبد الرزاق ٣٢٠/٤ رقم ٩٣٥.

شهر رمضان (١).

وعبد الله بن عمر رضي الله عنه كان يتبخر بالعود ويقول: "كان رسول الله ﷺ يفعل هكذا" (٢)، وكان يجمر ثيابه كل جمعة (٣).

بل من الصحابة من كان إذا مرَّ بطريق عُرف أنه قد مشى منه، كما روي ذلك عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وابن عمر وأبي هريرة وأبي قتادة وأبي أسيد الساعدي رضي الله عنه (٤)، وكان عبد الله بن جعفر يسحق المسك ويضعه على رأسه (٥).

واستمر الطيب رفيقاً للصالحين من بعد الصحابة فهذا الإمام الزهري كان يكثر من الطيب، وسئل عنه ابن أخيه هل كان عمك الزهري يتطيب؟

فقال: كنت أشم ريح المسك من سوط دابته (٦). وكان أبو جعفر محمد بن علي يدعو نفراً من المسلمين كل جمعة فيطعمهم ويطيبهم ويخبرهم، ثم يروحون إلى المسجد من بيته (٧).

وأئمة الدين المتبعون أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، كلهم قدوة في التزين والتطيب: فأبو حنيفة كان يكثر من العناية بثيابه، مكثرًا للطيب، حسن الهيئة، جميل المنظر، ومثله بقية الأئمة: فكان الإمام مالك إذا أراد أن يحدث الناس، اغتسل ولبس أجمل الثياب وتطيب بأجود الطيب، ثم يجلس يحدث الناس ومجامر العود تعبق بالطيب حتى ينتهي المجلس، فسئل عن ذلك فقال: إكراماً لحديث رسول الله ﷺ (٨)، وقال الإمام الشافعي: (من نظف ثوبه قل هم، ومن طابت ريحه زاد عقله) (٩)، وكان الإمام أحمد يحب الطيب كثيراً، وكان له صينية يضع فيها مرآة ومكحلة ومشط، فإذا فرغ من قراءة حزه نظر في المرآة واكتحل وامتشط (١٠).

فهؤلاء الأئمة أجمعت الأمة على جواز تقليدهم واتباع مذاهبهم، وقد كانوا قدوة للناس في النظافة والتطيب؛ لأنهم ورثة الأنبياء وخلف صحابة النبي الكريم، فينبغي لنا أن نتشبه بهم لنفلح كما أفلحوا: وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح.

(١) تهذيب التهذيب ١٠/ ٤١٤.

(٢) مسلم ١٧٦٦/ ٤ رقم ٢٢٥٤.

(٣) ابن أبي شبة ١/ ٤٨١ رقم ٥٥٤٨.

(٤) ابن أبي شبة ٥/ ٣٠٤ رقم ٦٢٣٢٩.

(٥) ابن أبي شبة ٥/ ٣٠٤ رقم ٦٢٣٣٥.

(٦) حلية الأولياء ٣/ ٣٧١.

(٧) الإخوان ٢٣٧١١ رقم ٢٠٣، مكارم الأخلاق ١/ ١٠٠ رقم ٣١٤.

(٨) الشفاء ٣٧/ ٢، فقه العبادات - حنفي ١/ ٧.

(٩) الإحياء ١/ ١٨١.

(١٠) المغني ١/ ١٠٦، الشرح الكبير ١/ ١٣٣.

ولله الحمد والمنة لا يزال علماء الأمة وصلحاؤها هم أنظف الناس ثياباً وأطيبهم ريحاً إلى يومنا هذا.

٦) تنطيب إكراماً للملائكة:

قال ﷺ: "من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم" (١).

وكما يحب الإنسان الطيب فالملائكة تحبه، بل قال العلماء أن الطيب للملائكة كالغذاء (٢)، قلت: ولعله الشيء الوحيد من أمور الدنيا الذي تشتهيهِ الملائكة، وقد روي أن سلمان الفارسي رضي الله عنه لما حضرته الوفاة أمر زوجته أن تنضح المكان بالمسك فقالت له لم ذلك؟ فقال: (إنه يحضرني خلق من خلق الله لا يأكلون الطعام ويجدون الريح) (٣). فالمسلم يتعطر ليحسن إلى جيرانه من الملائكة، فله بذلك أجر وثواب من الله؛ لأنهم عباد الله المكرمون الذين لا يعصون الله ويفعلون ما يؤمرون.

ومن المعلوم أن الملائكة لا تفارق الإنسان إلاً عند الخلاء والجماع، فلزم إكرامهم بالطيب دائماً قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۖ كِرَامًا كَتِيبِينَ ۖ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (٤).

٧) تنطيب لنطرد الشياطين:

فالشياطين لا تحب الطيب، بل تحب الرائحة الكريهة، وتسكن أماكن النتن والأوساخ قال ﷺ: "إن هذه الحشوش - أماكن الخلاء - محتضرة فإذا أتى أحدكم الخلاء فليقل: أعوذ بالله من الخبث والخبائث" (٥). والخبث هم ذكور الشياطين والخبائث إناثهم، قال ﷺ: "لا يعجز أحدكم إذا دخل مرفقه أن يقول: اللهم إني أعوذ بك من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم" (٦). فيفهم من هذا أن الشياطين يعشقون الريح الخبيثة، إذ لكل روح ما يناسبها، قال

(١) مسلم ٣٩٤/١ رقم ٥٦٤.

(٢) فيض القدير ٤٥٦/٣ رقم ٣٩٥٨.

(٣) ابن أبي شيبه ٤٦١/٢ رقم ١١٠٣٧.

(٤) الانفطار آية رقم: ١٠، ١١ و ١٢.

(٥) أبو داود ٤٩/١ رقم ٦.

(٦) ابن ماجه ١٠٩/١ رقم ٢٩٩.

تعالى: ﴿الْحَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾^(١)
 قال ابن القيم: (وفي الطيب من الخاصة أن الملائكة تحبه، والشياطين تنفر منه، وأحب شيء
 إلى الشياطين الرائحة المنتنة الخبيثة، وكل روح تميل إلى ما يناسبها)^(٢)، فالمسلم حينما يتطيب
 يؤذي الشيطان فيبتعد عنه، ومن يحارب الشيطان يكون من أولياء الله وله بذلك ثواب من عند
 الله، فالمتطيب مُعَادٍ للشيطان، والله أمرنا بعبادة الشيطان فقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ
 عَدُوًّا﴾^(٣).

٨) نتطيب صدقة وإحساناً إلى الآخرين ودفعاً للأذى عنهم:
 فالطيب من المعروف "وكل معروف صدقة"^(٤)، ومن يتطيب، فقد تصدَّق بالريح الطيبة على
 كل من يشمه، وكما أن الذي لا يتنظف يؤذي الملائكة وبني آدم، فالمتطيب يحسن إليهم
 ويدخل السرور إلى قلوبهم، ومن يتطيب يكف أذاه عن الملائكة والناس، وكف الأذى عن
 الآخرين صدقة وإحسان.

٩) نتطيب للتداوي والعلاج:
 قال ﷺ: "عليكم بهذا العود الهندي؛ فإن فيه سبعة أشفيه: يستعط به من العذرة، ويُلدُّ به
 من ذات الجنب"^(٥)، فطيب العود شفاء لسبعة أمراض منها: التهاب الحلق واللوزات والتهاب
 الرئة المصحوب بسعال وحمى.
 وروي عنه ﷺ أنه قال: "اكتحلوا بالإثمد المطيب فإنه يجلو البصر وينبت الشعر"^(٦). ويحكي
 عن الإمام علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: (تشمموا النرجس ولو في العام مرة، فإن في قلب
 الإنسان حالة لا يزيلها إلا النرجس) وعن الأحنف بن قيس ﷺ أنه قال: (إن شم رائحة المسك
 يحيي القلب)^(٧).

(١) النور آية رقم 26.

(٢) زاد المعاد ٤/ ٢٥٦.

(٣) فاطر: ٦.

(٤) البخاري ٥/ ٢٢٤١ رقم ٥٦٧٥، مسلم ٢/ ٦٩٧ رقم ١٠٠٥.

(٥) البخاري ٥/ ٢١٥٥ رقم ٥٣٦٨.

(٦) أحمد ٤٧٦ رقم ١٥٩٤٧.

(٧) المستطرف ٢/ ٦٤.

١٠) نتطيب لقوة البدن الظاهرة والباطنة:

قال ابن القيم: (الرائحة الطيبة غذاء الروح، والروح مطية القوى، والقوى تزداد بالطيب، وهو ينفع الدماغ والقلب وسائر الأعضاء الباطنة، ويفرح القلب ويسر النفس، ويسيطر الروح)^(١). ولا يخفى على أحد ما يحدثه الطيب من نشاط وحيوية في البدن والروح.

١١) نتطيب لقوة الشهوة وقضاء الوطر:

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: "كنت أطيّب رسول الله ﷺ، ثم يطوف على نسائه، ثم يصبح محرماً ينضح طيباً"^(٢). أخذ بعض العلماء من هذا الحديث استحباب التطيب قبل الجماع. قال ابن بطال: (السنة اتخاذ الطيب للرجال والنساء عند الجماع، وكانوا يتطيبون عند الجماع لأجل النشاط)^(٣).

وقال أبو قاسم البغدادى: (الطيب من أعظم لذات البشر، وأقوى الدواعي للوطء وقضاء الوطر)^(٤). وقال المناوي: (ومن محاسن الطيب، أنه مقوٍ للدماغ، محرك لشهوة الجماع)^(٥). فالتطيب يثير الشهوة ويقويها، كما أن الريح الخبيثة تميّتها أو تضعفها. فليحرص المتزوجون على هذه السنة؛ دواماً للمحبة، وكاملاً للرغبة.

١٢) نتطيب لأنه من نعيم الجنة:

قال ﷺ: "إذا أعطي أحدكم الريحان فلا يردّه فإنه خرج من الجنة"^(٦). وروى عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: (أطيب الريح في الأرض الهند، أهبط الله بها آدم، فعلق شجرها من ريح الجنة)^(٧). فأدم عليه السلام نزل من الجنة، ونزل الطيب منها كذلك، فينبغي التزود من الطيب والإكثار منه، فهو من نعيم الجنة فلا يُرد، ولا سرف فيه، وقد كان النبي ﷺ "لا يرد الطيب"^(٨). و"ما عُرض على النبي ﷺ طيب قط فردّه"^(٩)، ونهى النبي ﷺ أمته أن ترد

(١) زاد المعاد ٤/ ٢٥٦.

(٢) مسلم ٢/ ٨٤٩، رقم ١١٩٢.

(٣) عمدة القارئ ٣/ ٢٢٠.

(٤) فيض القدير ٦/ ١٥ رقم ٨٢٥٣.

(٥) فيض القدير ٥/ ١٨٥ رقم ٦٨٩٠.

(٦) الترمذي ٥/ ١٠٨ رقم ٢٧٩١.

(٧) المستدرک ٢/ ٥٩٢ رقم ٣٩٩٥.

(٨) البخاري ٥/ ٢٢١٦ رقم ٥٥٨٥.

الطيب أو الريحان فقال ﷺ : "من عَرَضَ عليه ريحان فلا يرده؛ فإنه خفيف المحمل، طيب الريح" (٢).

وفي رواية: "من عرض عليه طيب فلا يرده، فإنه طيب الريح، خفيف المحمل" (٣). وروي عنه ﷺ :

"أقبلوا الكرامة، وأفضل الكرامة الطيب" (٤).

وقال ﷺ : "ثلاث لا ترد: الوسائد والدهن - الطيب - واللبن" (٥).

فائدة:

أشياء إذا عرضت على المسلم، يكره أن يردها منها: الطيب والوسائد واللبن، وتتبعها بعض العلماء فقال:

عن المصطفى سبع يُسنُّ قبولها
إذا ما بما قد أتخف المرءُ خلان

دهان وحلوى ثم درٌّ وسادة
 وآلة تنظيف وطيب وريحان (٦)
 وقال آخر:

قد كان في سنة خير الوري
 صلى عليه الله طول الزمن
 ألا يردّ الطيب ولا المتك
 والتمر واللحم كذاك اللبن (٧).

١٣) نتطيب ونكثر منه؛ لأنه لا إسراف فيه:

بدى جلياً مما سبق، أن التطيب فطرة وعبادة؛ لذا فلا إسراف فيه، بدلالة هذه الآثار:

* قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: "كنت أطيب رسول الله ﷺ بأطيب ما يجد، حتى

(١) أحمد ٢٢٦/٣ رقم ١٣٣٨٨.

(٢) مسلم ١٧٦٦/٤ رقم ٢٢٥٣.

(٣) أبو داود ٤٧٧/٢ رقم ٤١٧٢.

(٤) الأوسط للطبراني ٢٣٩/٦ رقم ٦٢٨٩.

(٥) الترمذي ١٠٨/٥ رقم ٢٧٩٠.

(٦) فيض القدير ٦٩/١ رقم ٣٤.

(٧) النور السافر ١/١٣٧.

أجد ويص الطيب في رأسه ولحيته" (١). أي ترى لمعانه وبريقه لكثرتة.

* وتقول أيضاً: "كنا نخرج مع النبي ﷺ إلى مكة فنضمد جباهنا بالسُّك المطيب عند الإحرام، فإذا عرقت إحدانا، سال على وجهها، فيراه النبي ﷺ فلا ينهانا" (٢).

* وقال أبو الضحى: (رأيت عبد الله بن الزبير رضي الله عنه في رأسه ولحيته من الطيب وهو محرم، ما لو كان لرجل لاتخذ منه رأس مال) (٣).

* لما تزوج الإمام علي فاطمة الزهراء رضي الله عنها، أمره النبي ﷺ أن يجعل ثلثي مهرها في الطيب، وثلثاً في الثياب، وقال له: " أكثروا لفاطمة من الطيب؛ فإنها امرأة من النساء" (٤).

* وقال داود بن أبي هند للحسن البصري: (يا أبا سعيد، رأيت لو اشتريت لامرأتي عطراً بعشرين درهماً أسرف هو؟ فقال: لا) (٥).

* وكان أقران عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يعطون الذي يغسل ثيابه الدراهم الكثيرة؛ ليغسل ثيابهم على إثر ثياب عمر من كثرة الطيب فيها (٦).

* وكان لأبي عمرو بن العلاء غلة كل يوم فلسان، وكان يشتري بأحدهما كوزاً يشرب فيه يومه، ثم يتصدق به في المساء، ويشتري بالآخر ريحاناً فيشمه يومه، فإذا أمسى أمر جاريته أن تحففه ليكون غسولاً للأيدي بعد الطعام (٧).

فتبين مما سبق أن الإكثار من التطيب لا إسراف فيه، وكيف يكون التطيب إسرافاً! وهو: صدقة وإحسان، ودفع أذى عن الآخرين، وهو خلق سيد المرسلين ﷺ، وهو من لذات جنات النعيم.

(١) البخاري ٢٢١٤/٥ رقم ٥٥٧٩.

(٢) أبو داود ٥٦٨/١ رقم ١٨٣٠.

(٣) ابن أبي شيبه ٢٠٦/٣ رقم ١٣٤٨٨، البداية والنهاية ٣٣٩/٨.

(٤) أبو يعلى ٢٩٠/١ رقم ٣٥٣، سنن البيهقي الكبرى ٧/٢٥٤ رقم ١٤٢٤٨.

(٥) العيال ٥٦٤/٢.

(٦) الأغاني ٩/٣٠٠ عمر بن عبد العزيز.

(٧) شعب الإيمان ٥/٢١٨ رقم ٦٤٢٥.

الفصل الثاني

متى نتطيب

يصاحب الطيب الإنسان منذ وجوده على الأرض حتى يغادرها، والأصل مصاحبة الطيب للمسلم إلا في حالات نادرة، والمسلم يشرع له التطيب في مواطن عدة على وجه الخصوص، من تلك المواطن ما يأتي:

(١) نتطيب عند الولادة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانوا في الجاهلية إذا عقوا عن الصبي، خضبوا قطنه بدم العقيقة، فإذا حلقوا رأس الصبي وضعوها على رأسه، فقال النبي ﷺ: "اجعلوا مكان الدم خلوقاً" (١).

فدين الإسلام نظافة وطهارة؛ يُضَمَّخُ رأس الصبي بالعطور بينما في الجاهلية يلطخ بالدماء، فالإسلام يريد من الطفل أن ينشأ طيباً نظيفاً على فطرة الله التي فطر الناس عليها، فينبغي لنا أن نمثل هذه السنة؛ ابتغاء مرضاة الله، واتباعاً لأمر رسول الله ﷺ.

(٢) نتطيب بعد الاغتسال:

قال بعض العلماء: (عادة الناس إذا اغتسلوا أو لبسوا ثياباً جديدة أو نظيفة أن يتجمروا بالطيب والعود) (٢)، ولا يزال الناس إلى يومنا هذا يحبون التطيب عقب الغسل ولبس الجديد، ومن يتأمل نصوص السنة وشروحها سيجد علاقة بارزة بين الطيب والاعتسال.

(٣) نتطيب للصلاة:

قال الله تعالى: ﴿يَبْنِيْٓ اٰدَمَ خُذُوْا زِيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ (٣). أي عند كل صلاة، يقول ابن كثير في تفسيره: (ولهذه الآية وما ورد في معناها من السنة، يستحب التجميل عند الصلاة، ولا سيما يوم الجمعة ويوم العيد، ويستحب الطيب؛ لأنه من الزينة، والسواك لأنه من تمام ذلك) (٤). وروي عن النبي ﷺ أنه قال: "لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك والطيب عند كل

(١) ابن حبان ١٢٤/١٢ رقم ٥٣٠٨.

(٢) المغني ٣٣١/٢، الشرح الكبير ٣٣٦/٢.

(٣) الأعراف آية رقم ٣١.

(٤) تفسير ابن كثير ٢٨١/٢.

صلاة" (١). ولأن المصلي يقابل ربه، ويخالط الملائكة، ويجتمع مع إخوانه؛ فيستحب التطيب لذلك كله.

والتطيب للصلاة يندب للرجال والنساء عموماً، إلا إذا خرجت المرأة من بيتها فلا تقرب الطيب وإلا لم تقبل صلاتها؛ حتى تغتسل من الطيب كما تغتسل من الجنابة.

٤) التطيب يوم الجمعة:

يوم الجمعة يوم العطور والبخور في الدنيا، كما هو يوم العطور والبخور في الجنة^٢، وهو يوم عيد للمسلمين؛ لذا يستحب التطيب فيه والنظافة، قال ﷺ: "الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم، وأن يستن - يتسوك - وأن يمس طيباً إن وجد" (٣) فالتطيب يوم الجمعة مندوب على سبيل التوكيد، بل إن أبا هريرة رضي الله عنه كان يوجب التطيب، وافقه على هذا بعض علماء الظاهرية، وهو رأي قوي له حجته (٤). وكان النبي ﷺ يؤكد على التطيب يوم الجمعة ولو لم يجد المسلم إلا طيب النساء قال ﷺ: "غسل يوم الجمعة على كل مسلم، وسواك، ويمس من الطيب ما قدر عليه ولو من طيب المرأة" (٥).

وأخبر النبي ﷺ أن غفران الذنوب يوم الجمعة مشروط بشروط منها: التطيب حيث قال ﷺ: "لا يغتسل رجل يوم الجمعة، ويتطهر ما استطاع من طهر، ويدهن من دهنه، أو يمس من طيب بيته، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين، ثم يصلي ما كتب له، ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى" (٦).

بل كان بعض السلف يرى أن التطيب يوم الجمعة يغني عن الغسل (٧).
فيوم الجمعة يوم عيد يجتمع فيه المسلمون، وما زال الناس يحتفلون بيوم الجمعة ويطيّبون فيه أبدانهم وثيابهم ومساجدهم وبيوتهم.

٥) التطيب لقيام الليل:

كان تميم الداري رضي الله عنه إذا قام بالليل يتجهّد يتطيب بالغالية. وقال مجاهد: كانوا يكرهون أكل الثوم

(١) فيض القدير ٥/ ٣٤٠ رقم ٧٥١٢.

٢ لحديث: إن لأهل الجنة سوقاً يأتونها كل جمعة، فيها كثبان المسك، فإذا خرجوا إليها هبت الريح فتملاً وجوههم وثيابهم وبيوتهم مسكاً، فيزدادون حسناً وجمالاً، فيأتون أهلهم فيقولون لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً، ويقولون لهن وأنتم قد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً.

(٣) البخاري ١/ ٣٠٠ رقم ٨٤٠، مسلم ٢/ ٥٨١ رقم ٨٤٦.

(٤) فتح الباري ٢/ ٣٦٢.

(٥) مسلم ٢/ ٥٨١ رقم ٨٤٦.

(٦) البخاري ١/ ٣٠١ رقم ٨٤٣.

(٧) الاستذكار ١/ ٣٦٥، فتح الباري ٢/ ٣٦٣، فيض القدير ٤/ ٤١٢ رقم ٥٨٠١.

والبصل والكراث؛ للقيام من الليل، وكانوا يستحبون أن يمس الرجل عند قيامه من الليل طيباً^(١).

٦) التطيب عند قراءة القرآن:

قراءة القرآن يجب لها الطهارة، ويحرم على المحدث حدثاً أكبر أن يمس القرآن، واستحب الفقهاء أن يكون القارئ متوضئاً متسوكاً متطيباً، قال قتادة: ما أكلت الكراث منذ قرأت القرآن^(٢).

٧) التطيب لمجالس الذكر وطلب العلم:

مجالس العلم والذكر تحفها الملائكة، والملائكة تحب الطيب؛ فيستحب إكرامهم بذلك، كما أن ذكر الله وطلب العلم من شعائر الله، فوجب تعظيمها، وسبق أن ذكرنا عن الإمام مالك أنه كان إذا أراد أن يحدث بحديث رسول الله ﷺ اغتسل ولبس أحسن حلة وتطيب بأجود طيب، ثم أمر بالمجامر تفوح بالعود حتى ينتهي من الدرس، ولما سئل عن ذلك قال: (إكراماً لكلام رسول الله ﷺ)^(٣).

٨) التطيب عند كل اجتماع:

حينما يجتمع الناس وخاصة عند كثرتهم قد تتغير روائحهم، فيندب التطيب؛ لئلا يؤذي بعضهم بعضاً، يقول الإمام الشافعي: (أحب للرجل الطيب في كل عيد وأمره به، وأحبه في كل صلاة جماعة وأمره به، وأحبه في كل أمر جامع للناس وإن كنت له في الأعياد من الجمع وغيرها أشد استحباباً؛ للسنة، وكثرة الحاضرين)^(٤).

٩) التطيب في العشر الأواخر من رمضان:

العشر الأواخر موسم عظيم للعبادة، فيندب التهيؤ لها بالنظافة والتطيب، وقد كان السلف يستحبون الاغتسال كل ليلة من ليالي العشر، منهم الإمام النخعي، ومنهم من كان يغتسل في الليالي التي يرجى فيها إدراك ليلة القدر، وكان أنس بن مالك ﷺ في ليلة أربع وعشرين يغتسل ويتطيب ويلبس حلة إزاراً ورداء، فإذا أصبح طواهما إلى العام المقبل لنفس تلك الليلة، وكان أيوب السخيتاني يغتسل ليلة ثلاث وعشرين وأربع وعشرين، ويلبس ثوبين جديدين ويستجمر، وكان ثابت البناني وحميد الطويل يلبسان أحسن ثيابهما ويتطيبان ويطيبون المسجد في الليلة التي

(١) شعب الإيمان ٢ / ٣٨٢.

(٢) شعب الإيمان ٢ / ٣٨٢.

(٣) سبق ص ١٩

(٤) الأم ١ / ٣٣٧.

ترجى فيها ليلة القدر^(١).

١٠ التطيب يوم العيدين:

يستحب التنظف والتزين يوم العيدين؛ إظهاراً لنعمة الله، وفرحاً بشعائره، ومن التزين التطيب؛ تطيباً للأرواح والأبدان، وتأليفاً لقلوب المسلمين، وهذا هو دأب الصالحين، قال الحسن بن علي رضي الله عنه: "أمرنا رسول الله ﷺ في العيدين أن نلبس أجود ما نجد، وأن نتطيب بأجود ما نجد..."^(٢). وسئل نافع كيف كان ابن عمر يصنع يوم العيد؟ فقال: (كان يشهد صلاة الفجر مع الإمام، ثم يرجع إلى بيته فيغتسل غسله من الجنابة، ويلبس أحسن ثيابه، ويتطيب بأطيب ما عنده، ثم يخرج إلى المصلى)^(٣). قال الإمام مالك: (سمعت أهل العلم يستحبون الطيب والزينة في كل عيد، والإمام أحق بذلك؛ لأنه المنظور إليه من بينهم)^(٤).

١١ التطيب لدخول مكة والمدينة:

استحب بعض الفقهاء لمن أراد أن يدخل مكة أو المدينة أن يغتسل ويتطيب؛ تعظيماً لهما وإجلالاً، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّمَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾^(٥).

١٢ التطيب عند الإحرام:

يستحب للمسلم إذا أراد أن يحرم بالحج أو العمرة أن يغتسل ويتطيب، وأن يبالغ في الطيب، رجلاً كان أو امرأة؛ لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: "طيب رسول الله ﷺ عند إحرامه، فرأيت الطيب في مفرق رأسه بعد ثلاث وهو محرم"^(٦)، ولحديثها أيضاً قالت: "كنا نخرج مع النبي ﷺ إلى مكة فنضمد جباهنا بالسُّك المطيب عند الإحرام، فإذا عرقت إحدانا سال على وجهها، فيراه النبي ﷺ فلا ينهانا"^(٧). ولكن يجب على المرأة أن تحتب الرجال الأجانب، وأن تتطيب بطيب خاص بالنساء وهو

(١) الطبقات الكبرى ٧/٢٣٢، لطائف المعارف ١/٢٠٧.

(٢) المستدرک ٤/٢٥٦ رقم ٧٥٦٠، المعجم الكبير ٣/٩٠ رقم ٢٧٥٦.

(٣) زوائد الهيثمي ١/٣٢٣ رقم ٢٠٧.

(٤) المغني ٢/٢٢٨.

(٥) الحج آية رقم ٣٢.

(٦) سبق ص ١٤.

(٧) سبق ص ٢٩.

ما ظهر لونه وخفي ريحه كما بينه النبي ﷺ وسيأتي معنا في الفصل الرابع.

١٣) التطيب عند التحلل الأول من الحج:

لحديث السيدة عائشة رضي الله عنه قالت: "كنت أطيب رسول الله ﷺ لإحرامه حين يحرم، ولحله قبل أن يطوف بالبيت" ^(١). أي قبل طواف الإفاضة، ويكون هذا التحلل يوم النحر، بعد أن يرمي الحاج جمرة العقبة ويحلق وينحر.

١٤) التطيب عند تغير الرائحة:

كان أصحاب النبي ﷺ عمال أنفسهم، وكان يكون لهم روائح، فقال لهم رسول الله ﷺ: "لو اغتسلتم" ^(٢). فالاغتسال يزيل الروائح الكريهة، ويحسن الطيب بعده؛ لتطيب رائحة الإنسان فلا يتأذى منه ملك ولا إنسان.

١٥) التطيب عند الزواج:

الزواج عشرة عمر، ولا بد لطولها من حصول ملل أحياناً، لذلك يحرص الزوجان على ما يقوي العشرة ويزيد في الألفة، ومن ذلك: النظافة، والزينة. وكانت عادة العرب أن تربي نساءها على النظافة والتطيب، وكان من وصايا الأمهات للبنات: (إياك أن تقع عين زوجك على شيء لا يستملحه، أو يشم منك ما يستقبحه) ^(٣)، وأوصت أم ابنتها ليلة الزفاف بوصية جامعة وكان مما قالته لها: (واحفظي له خصالاً عشراً؛ يكن لك ذخراً: أما الأولى والثانية: فالخشوع له بالقناعة، وحسن السمع له والطاعة، وأما الثالثة والرابعة: فالتفقد لموضع عينه وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح) ^(٤).
ورأت السيدة عائشة رضي الله عنها زوجة عثمان بن مظعون رضي الله عنه غير متخضبة ولا متطيبة، فأنكرت عليها ذلك!

فأجابتها بأنها تشكو من زهد زوجها عنها، وعن الدنيا، فعلم النبي ﷺ: فزجره عن ذلك، وأمره بالوسطية والاعتدال، وإعطاء كل ذي حق حقه ^(٥).

(١) البخاري ١٠٤/١ رقم ٢٦٤، مسلم ٨٤٩/٢ رقم ١١٩٢.

(٢) البخاري ٧٣٠/٢ رقم ١٩٦٥.

(٣) فيض القدير ١٤٧/٣ رقم ٢٩٧١.

(٤) فقه السنة ١/٦٢١.

(٥) أحمد ١٠٦/٦ رقم ٢٤٧٩٧.

وكما أن المرأة يحسن منها التجميل والتطيب، فكذلك يحسن من الرجل؛ إذ هذا من الحقوق المشتركة بين الزوجين، التي تزيد في المحبة بينهما، وتكمل حسن المعاشرة، قال ابن عباس رضي الله عنه : (إني لأحب أترين للمرأة كما أحب أن تتزين لي) ^(١)؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ^(٢) ، وليس من المعروف أن يستمتع الزوج بريح زوجته الطيب. بينما هو يؤذيها بريحتها ولا يمكنها أن تستمتع به طيباً.

١٦) تطيب المرأة فرجها بعد غسلها من الحيض:

قال الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ ^(٣). فبعد أن ينقطع دم الحيض؛ يجب على المسلمة أن تغتسل، وعقب اغتسالها؛ يستحب لها أن تطهر فرجها بطيب، نحو مسك أو عود؛ وذلك لدفع الرائحة الكريهة، فعن عائشة رضي الله عنها أن امرأة سألت النبي ﷺ عن غسلها من المحيض، فأمرها كيف تغتسل، ثم قال: "خذي فرصة من مسك فتطهري بها". قالت: كيف أتطهر؟ فقال: "تطهري بها" قالت: كيف أتطهر؟ قال: "سبحان الله تطهري" فاجتذبتها السيدة عائشة إليها وقالت لها: (تتبعي بها أثر الدم) ^(٤). وهذا التطيب مؤكد في حق المرأة، حتى لو كانت ممنوعة من الطيب، فقد أرشد النبي ﷺ المعتدة من وفاة زوجها إلى ذلك، كما في حديث أم عطية رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال في حق المعتدة: "ولا تمس طيباً إلا إذا طهرت نبذة من قسط أو أظفار" ^(٥). فرخص لها أن تستجمر بعود أو بخور، رغم أنها لا تزال في عدة حدادها على زوجها.

١٧) نتطيب عند المعاشرة الجنسية:

أقوى لحظات الاتصال بين الزوجين هي عند الاتصال الجنسي، فيستحب التطيب قبل ذلك من الطرفين؛ لتكمل المتعة، وتبلغ ذروتها؛ إذ الطيب يثير الشهوة، ويقوي البدن، وينشط النفس، ويريح قلوب المتحابين، وسبق ذكر ما للطيب من أثر في وفرة الشهوة، وقوة الجماع، وسبق ذكر حال النبي ﷺ من تطيبه ثم طوافه بنسائه واغتساله ^(٦).

(١) ابن أبي شبة ١٩٦/٤ رقم ١٩٢٦٣.

(٢) البقرة: ٢٢٨.

(٣) البقرة: ٢٢٢.

(٤) البخاري ١١٩/١ رقم ٣٠٨، مسلم ٢٦٠/١ رقم ٣٣٢.

(٥) البخاري ٢٠٤٣/٥ رقم ٥٠٢٨، مسلم ١١٢٧/٢ رقم ٩٣٨.

(٦) سبق ص ٢٤ - ٢٥.

ومن الآثار التي لم أسقها في ذلك الموضوع ما يلي:

* قالت أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها : (إنما الطيب للفراش)^(١) ، وكذلك قول أبيها عمر رضي الله عنه : (إنما تطيب المرأة لزوجها ، وإنما قلوب الرجال عند أنوفهم)^(٢) ، وفي قصة زوجة أبي طلحة ، حينما مرض ولدها أياماً ، وذات يوم ذهب أبوه إلى النبي ﷺ ، وأثناء غيابه مات ولده ، فعاد أبو طلحة بعد العشاء فسأل عن الولد ، فقالت له زوجته : هو أسكن ما يكون منذ مرضه ، ثم قربت لزوجها عشاءه ، فأكله ثم ذهب لينام على فراشه ، قالت أم طلحة : وقمت أنا فمسست شيئاً من طيب ، ثم جئت حتى دخلت معه الفراش ، فما هو إلا أن وجد ريح الطيب ، كان منه ما يكون من الرجل إلى أهله^(٣).

فالتطيب بين الزوجين عند المعاشرة من الأمور الحسنة والنافعة، فليحرص عليها الزوجان؛ ليهنأ كلٌّ بصاحبه، وتطيب حياتهما الزوجية.

١٨) التطيب عند عدة الطلاق:

المعتدة من طلاق على قسمين:

* المعتدة من طلاق رجعي: وهذه استحب لها بعض الفقهاء أن تتطيب وتزين؛ لتستميل قلب زوجها فيراجعها^(٤).

* المعتدة من طلاق بائن: قال بعض الفقهاء: لها أن تتطيب وتزين في عدتها ولا حداد عليها؛ لأنه لم يكن وفيها معها، قال ابن عمر رضي الله عنه : (تكتحل وتتطيب وتزين؛ تغيب بذلك زوجها)^(٥).

١٩) التطيب عند الإقدام على القتال:

إن التطيب عند الإقدام على القتال؛ فيه تحفيز للروح، وتقوية للبدن، وتشويق إلى طيب الجنة ونعيمها. وكان من المقاتلين من يشم عطور الجنة قبل المعركة، كما ثبت في الصحيح عن أنس بن

(١) ابن أبي شيبه ٣٠٥/٥ رقم ٢٦٣٤٠، عبد الرزاق ٣٧٣/٤ رقم ٨١١٣.

(٢) عبد الرزاق ٣٧٠/٤ رقم ٨١٠٧.

(٣) أحمد ١٨١/٣ رقم ١٢٨٨٨.

(٤) المبسوط ١١/٥، بداية المجتهد ٨٠٧١١.

(٥) المدونة الكبرى ١٢/٢، المبسوط ١١/٥.

النضر عليه السلام في غزوة أحد حيث قال: (إني أجد ريح الجنة دون أحد) ^(١) ورأى أنس بن مالك عليه السلام ثابت بن قيس عليه السلام يوم اليمامة وقد حسر عن فخذه وهو يتحنط - يتطيب - مستعداً لقتال العدو ^(٢).

٢٠) التطيب لقدم ملك الموت:

ملك الموت وأعوانه هم الذين يقبضون الأرواح بأمر الله، وهم كسائر الملائكة يحبون ريح الطيبة أكرمهم بها، وقد روي أن سلمان الفارسي عليه السلام لما حضرته الوفاة، أمر زوجته أن تنضح المكان بالمسك، قائلاً: (إنه يحضرني خلق من خلق الله لا يأكلون الطعام، ويجدون الريح) ^(٣).

٢١) التطيب عند خروج الروح:

استحب كثير من الفقهاء أن يطلق البخور عند خروج الروح ^(٤)؛ وذلك تنشيطاً لها، وتفاؤلاً بطيب روح المحتضر، وتطيباً للمكان لما قد يصدر من المحتضر من ريح أو غيره عند خروج روحه، وإذا كان الناس مندوبين إلى التطيب عند خروج الروح، فإن الملائكة - أيضاً - تأتي ومعها طيب من الجنة، وكفن من الجنة، وتخرج روح المؤمن طيبة الريح، فعن البراء بن عازب عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "إن العبد إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، فتخرج كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها الملك، فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على ظهر الأرض، فيصعدون بها إلى السماء، فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب فيقولون: فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل: كتبوا كتاب عبي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟

(١) البخاري ٤/١٤٨٧ رقم ٣٨٢٢، مسلم ٣/١٥١٢ رقم ١٩٠٣.

(٢) البخاري ٣/١٠٤٦ رقم ٢٦٩٠، المستدرک ٣/٢٥٩ رقم ٥٠٣٢.

(٣) سبق ص ٢١.

(٤) الفقه على المذاهب الأربعة ١/١٩٣.

فيقول: هو رسول الله، فيقولان: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فأمنت به وصدقت. فينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعده، فيقول له: من أنت فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير. فيقول: أنا عمك الصالح. فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي" (١).

٢٢) الطيب عند غسل الميت

٢٣) الطيب عند تكفينه

٢٤) الطيب في البرزخ

لما ماتت زينب بنت النبي ﷺ أمر بتغسيلها وتطيبها فقال: "أغسلنها ثلاثاً أو خمساً أو أكثر من ذلك إن رأيتهن ذلك، بماء وسدر، واجعلن في الآخرة كافوراً" (٢). استحَب بعض الفقهاء أن تكون هناك مجمرة يبخر فيها مكان وسرير الغسل، ويستمر البخور حتى ينتهي تغسيله وتكفينه (٣)، ويستحب تطيب الكفن وتبخيره لقول النبي ﷺ: "إذا أجمرت الميت فأوتروا" (٤)، وكثير من السلف كان يوصي بتطيب كفنهم، قالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها: (إذا مت فاغسلوني وكفنوني وحنطوني وأجروني) (٥)، وأوصى أنس بن مالك رضي الله عنه أن يحنط من طيب مخلوط بعرق النبي ﷺ وشعره (٦).

وأوصى أبو سعيد وابن عمر وابن عباس أن تجمر أكفانهم بالعود (٧).

٢٥) الطيب في الجنة:

الطيب مرتبطٌ بالمسلم منذ بداية خلقه، وفي الحياة الدنيا، ثم في حياة البرزخ، ويستقر معه في الجنة. فالطيب أول ما يتنعم به المسلم من الجنة؛ إذ أن طيب الجنة يفوح من مسافة خمس مائة عام، قال ﷺ: "إن ريحها ليوجد من مسيرة خمس مائة عام" (٨). وريح طيب الجنة يصل إلى مسافة خمسمائة عام؛

(١) أحمد ٢٨٧/٤ رقم ١٨٥٥٧.

(٢) البخاري ٤٢٢/١ رقم ١١٩٥، مسلم ٦٤٦/٢ رقم ٩٣٩.

(٣) حاشية الطحاوي ٥٦٩/٢، الفقه على المذاهب الأربعة ١/٧٩٣.

(٤) ابن حبان ٣٠١/٧ رقم ٣٠٣١.

(٥) إسحاق بن راهويه ١٣٧/٥ رقم ٣٩.

(٦) البخاري ٢٣١٦/٥ رقم ٥٩٢٥.

(٧) المغني ٢/٣٣١.

(٨) ابن حبان ٣٩٢/١٦ رقم ٧٣٨٣.

نتيجة لما في الجنة من طيب، فبيوت الجنة وبنائها مخلوط بالطيب. سئل النبي ﷺ عن بناء الجنة فقال: "لبنة من فضة ولبنة من ذهب، وملاطها المسك، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وتربتها الزعفران" (١). وبعض تربتها المسك كما قال ﷺ لابن صياد لما سأله عن تربة الجنة فقال: "درمكة بيضاء مسك خالص" (٢) والدرمكة تعني ناعمة كالدقيق الأبيض.

وليس الطيب في تربتها وملاط جدرانها فقط، بل إنه في أنهارها قال ﷺ: "أنهار الجنة تخرج من تحت تلال أو من تحت جبال المسك" (٣) ونهر الكوثر طيبه مسك أذفر" (٤). وطعام أهل الجنة طيب لا أذى منه، فما يأكله المسلم يخرج عطراً قال ﷺ: "إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون". قيل يا رسول الله فأين يذهب الطعام؟ فقال ﷺ: "جشاء ورشح كرشح المسك" (٥) وفي رواية: "حاجة أحدهم عرق يخرج كريح المسك فيضمر بطنه" (٦)، ونساء الجنة عطرات قال ﷺ: "لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأت ما بينهما ريحاً" (٧)، وروي أن الحورية تعطى سبعين لونا من الطيب" (٨).

ولا يزال أهل الجنة يزدادون طيباً وعطوراً كل جمعة قال ﷺ: "إن لأهل الجنة سوقاً يأتونها كل جمعة، فيها كثران المسك، فإذا خرجوا إليها هبت الريح فتملأ وجوههم وثيابهم وبيوتهم مسكاً، فيزدادون حسناً وجمالاً، فيأتون أهليهم فيقولون لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً، ويقولون هن وأنتم قد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً" (٩)، وثبت عن النبي ﷺ أن أهل الجنة يتجمرون بالعود، قال ﷺ عنهم: "أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة" (١٠). وهكذا كانت رحلة الطيب مع المسلم أزلية خالدة منذ بداية الخلق وحتى جنات الخلود.

(١) الترمذي ٦٧٢/٤ رقم ٢٥٢٦.

(٢) مسلم ٢٢٤٣/٤ رقم ٢٩٢٨.

(٣) ابن حبان ٤٢٣/١٦ رقم ٧٤٠٨.

(٤) البخاري ٢٤٠٦/٥ رقم ٦٢١٠.

(٥) مسلم ٢١٨٠/٤ رقم ٢٨٣٥.

(٦) أحمد ٣٧١/٤ رقم ١٩٣٣٣.

(٧) البخاري ٢٤٠١/٥ رقم ٦١٩٩.

(٨) ابن خزيمة ١٩٠/٣ رقم ١٨٨٦.

(٩) أحمد ٢٨٤/٣ رقم ١٤٠٦٧.

(١٠) البخاري ١٢١٠/٣ رقم ٣١٤٩، مسلم ٢١٧٨/٤ رقم ٢٨٣٤.

الفصل الثالث

ماذا نطّيب؟

ورد الشرع مبيناً لنا أهمية التطيب، وموضحاً الأشياء التي لنا أن نُطيبها فمنها ما يأتي:

(١) الكعبة المشرفة بيت الله الحرام:

أمر الله بتعظيمها وإكramها؛ فإليها تشد الرحال، ولرؤيتها تحن القلوب، وهي أول بيت وضع للناس لذا لزم تعظيمها وإجلالها، ومن صور تعظيمها: تنظيفها، وتطيبها. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُعْظِمْ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾^(١). والكعبة من أعظم الشعائر، وتطيبها من تعظيمها وإجلالها.

وقد أمر النبي ﷺ بنظافة المساجد عموماً وتطيبها، والبيت الحرام من باب أولى؛ لأنه أفضل البيوت. قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "أمر رسول الله ﷺ ببناء المساجد في الدور وأن تنظف وأن تطيب"^(٢). وقد حرص أصحاب البيت الحرام على: تقديسه، وحمايته، وتنظيفه، وتطيبه، وكسوته، منذ بنائه حتى يومنا هذا.

فكان ابن الزبير يكثر من تطيب الكعبة حتى يشم ريحها من مسافة بعيدة^(٣)، وقال إبراهيم النخعي: إذا أهديت إلى البيت شيئاً فاجعله في الطيب الذي تطيب به^(٤)، وفي هذه الأيام حظي الحرم المكي والمدني بعناية بالغة، تنفق الملايين كل عام في خدمة الحرمين بما في ذلك الكسوة للكعبة وطيبها، ويتم تغسيل الكعبة بماء زمزم المخلوط بالورد، ثم تطيب بجفان من العود المعتق، ثم يُطاف عليها بمجامر البخور في موقف بهيج مهيب؛ خدمة لبيت الله وتكريماً.

(٢) المساجد:

المساجد أشرف البقاع في الأرض وأعلاها، أمر الله بتعظيمها فقال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكِّرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾^(٥)

ومن رفعتها: تنظيفها وتطيبها، وسبق حديث عائشة رضي الله عنها وفيه: "أمر رسول الله ﷺ ببناء المساجد في الدور وأن تنظف وأن تطيب"، ورأى رسول الله ﷺ ذات يوم نخامة في قبلة

(١) الحج آية رقم ٣٢.

(٢) أبو داود ١٨٧/١ رقم ٤٥٥، الترمذي ٤٨٩/٢ رقم ٥٩٤.

(٣) البداية والنهاية ٨/٣٣٩.

(٤) عبد الرزاق ٥/٢٤ رقم ٨٨٥٨.

(٥) النور آية ٣٦.

المسجد؛ فغضب حتى احمرَّ وجهه، فقامت امرأة من الأنصار فحككتها، وجعلت مكانها خلوقاً، فقال رسول الله ﷺ: "ما أحسن هذا" (١).

وأكد النبي ﷺ على أن تظل ريح المساجد طيبة، فنهى عن تعكير طيبها فقال ﷺ: "من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا" (٢).

وما أجمل أن تصلي في مسجد يفوح عطراً، يذكرك طيبه بطيب الجنة؛ فتأنس للبقاء فيه وتتمنى ألا تخرج منه، وبالعكس كم يحزن المسلم حين يدخل مسجداً، تنبعث من رواده روائح كريهة؛ تجعل المصلي يندم على دخوله بينهم، وقد يسرع في صلاته هرباً من أذاهم، فمن الواجب على سكان كل مسجد وعلى الجهات المشرفة على المساجد: أن تعظم المساجد، وتعيد لها مكانتها شكلاً ومضموناً؛ ليشع النور منها إلى أرجاء الكون كما كانت أيام الصالحين السابقين.

(٣) البيوت:

البيت فيه السكن والراحة، ينام فيه الإنسان ويعيش، ويضع ثيابه ومتاعه، وعلى أروقه يتربى الأولاد، وفي طلائعه تستقبل الضيوف، فلا بد أن تكون بيوت المسلمين نظيفة طيبة، وقال ﷺ: "إن الله نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتمكم ولا تشبهوا باليهود" (٣).

فنظافة البيوت شاهد على نظافة سكانها، ولا يمكن لإنسان نظيف طيب الرائحة أن يسكن بيتاً متسخاً كريه الرائحة، فينبغي تطيب البيوت؛ ليستمر طيب المرء في ثوبه وبدنه.

(٤) الأبدان:

جسم الإنسان المسلم نظيف وطيب، ولا تقبل صلاة امرئ غير طاهر، ويكره له أن يصلي غير نظيف، ويندب له أن يقابل ربه نظيف البدن طيب الرائحة، وسبق الإشارة إلى مواضع التطيب في جسم الإنسان منها: رأسه ولحيته وسائر جسده.

(٥) تطيب الثياب:

أوجب الله على المسلم أن يطهر ثوبه فقال تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا فِطْرَهُمْ﴾. ولا تصح صلاة امرئ بثوب نجس، وليس من العقل أن يؤمر المرء بنظافة بدنه، ولا يؤمر بنظافة ثيابه؛ إذ يلزم من نظافة الثوب

(١) النسائي ٥٢/٢ رقم ٧٢٨، ابن ماجه ٢٥١/١ رقم ٧٦٢.

(٢) سبق ص ٢٠.

(٣) سبق ص ١٣.

نظافة البدن، وإلا لم يكن للأمر بأحدهما معنى، وسبق الإشارة إلى اعتناء السلف الصالح بتطبيب ثيابهم، كما روي عن النبي ﷺ أنه كان يستجمر بالعود، وما ورد عن ابن عمر أنه كان يستجمر كاستجمار النبي ﷺ، وكان يجمر ثيابه كل جمعة، بل يندب تطيب ثياب الميت فكيف بتطيب ثوب الحي الذي يخالط الناس ويعيش بقربهم! (١).

٦) تطيب القرآن وكتب العلم:

استحب بعض الفقهاء تطيب المصحف؛ تعظيماً له وكذلك كتب العلم الشرعية؛ لأنها مفسرة له ومرتبطة به، والقرآن وعلومه من شعائر الله؛ فيلزم تعظيمها ليزيد تقوى القلوب، وفي تطيب القرآن وعلومه؛ مدعاة لحب الناس له وتعلقهم بريحه وروحه (٢).

٧) أماكن الذكر وحلق العلم:

هذه الأماكن مشهودة بالخير، ومحفوفة بملائكة الرحمن، ومغمورة بالسكينة والرحمة، ولهذا ندب تنظيفها وتطيب ريحها، وسبق ما ورد عن الإمام مالك كيف كان يطيب مجلسه بالعود إكراماً للعلم (٣).

٨) مجامع الناس:

يستحب أن يطيب مكان اجتماع الناس، أياً كان هذا المكان: مسجداً أو غرفة بيت أو محفل؛ وذلك لترويح المكان، ودفع ما يستكره من روائح الناس (٤)، إلا ما كان ممنوعاً فيه التطيب كراهة أو تحريماً، مما سيأتي بيانه في الفصلين التاليين.

٩) الصدقة:

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (إن الصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل) (٥). ويحكى أن إحدى زوجات النبي ﷺ كانت إذا تصدقت بشيء طيبته، فقيل لها لم تفعلين هذا؟ قالت: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد المخلوق فأحب أن أطيبها لأن الله يحب الطيب".

إن الأحاسيس المرهفة عند المتصدقين تجعلهم يتفنون في التصدق، فيأخذ أجرين: أجر

(١) سبق ص ١٦ وما يليها.

(٢) شرح منتهى الإرادات ١/ ٧٥.

(٣) سبق ص ١٩.

(٤) سبق ص ٣٦-٣٧.

(٥) المعجم الكبير ٩/ ١٠٩ رقم ٥٧١.

الصدقة وأجر أسلوها.

(١٠) مكان خروج الروح

(١١) مكان تغسيل الميت

(١٢) مكان تكفين الميت

(١٣) بدن الميت إلا المحرم بحج أو عمرة

وكل هذه سبق الكلام عنها في الفصل الثاني^(١).

هذه جملة ما يطيبه المسلم، أما ما يطيب له كروحه عند خروجها وصعودها إلى السماء، وكذا طيب قبره وصورة عمله، وطيب الجنة وسكانها فهذه مطيبة بدون تكليف الإنسان، وسبق بيان ذلك كله في الفصل الأول والثاني^(٢).

(١) سبق ص ٣١ وما يليها.

(٢) سبق من ص ١٣ - ٥٣.

الفصل الرابع

متى يحرم الطيب؟

علاقة المرء بالطيب وثيقة، إلا أنه يمنع منه المرء في ظروف معينة، منها ما يأتي:

(١) تطيب المرأة عند خروجها من البيت ولو إلى الصلاة:

الطيب للرجال حسن وهو للمرأة أحسن، والمرأة النظيفة المتعطرة أحب إلى الله، وإلى زوجها، وإلى من يجوز له شم طيبها، إلا أن تعطر المرأة لا يجوز خارج بيتها؛ لما في ذلك من المفساد الدنيوية والأخروية، لذلك نهى النبي ﷺ المرأة أن تتطيب وتخرج من بيتها فقال ﷺ: "أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ بِقَوْمٍ لِيَجِدُوا مِنْ رِيحِهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ" ^(١)؛ لأنها تثير شهوة الرجال، وتستميل قلوبهم.

فيحرم على المسلمة أن تخرج من بيتها تفوح عطرًا ولو كان خروجها إلى المسجد تصلي، قال ﷺ: "أَيَّتَكُنْ خَرَجْتَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلَا تَقْرُبِي طَيِّبًا" ^(٢). وقال ﷺ: "إِذَا خَرَجْتَ الْمَرْأَةُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَلْتَغْتَسِلْ مِنَ الطَّيِّبِ كَمَا تَغْتَسِلُ مِنَ الْجَنَابَةِ" ^(٣)، بل أخبر النبي ﷺ بعدم قبول صلاتها حتى تغتسل، فقال ﷺ: "أَيُّمَا امْرَأَةٍ تَطَيَّبَتْ ثُمَّ خَرَجَتْ إِلَى الْمَسْجِدِ لَمْ يَقْبَلْ لَهَا صَلَاةٌ حَتَّى تَغْتَسِلَ" ^(٤)، وخرجت امرأة متطيبة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فشتم طيبها فضر بها بالدرة على رأسها ثم قال: (تخرجن متطيبات فيجد الرجال ريحكن، وإنما قلوب الرجال عند أنوفهم اخرجن تفلات) ^(٥)، أي متغيرات الريح في ثياب المهنة والطبخ غير متطيبات.

وإنه لمن المؤسف أن تجد النساء في هذه الأيام يتطين لخروجهن من البيت، ليس إلى المسجد ولكن إلى الأسواق والشواطئ والحدائق العامة، بل وإلى أماكن العمل الذي قد يكون مختلطاً بالأجانب ويدوم لساعات طويلة.

(٢) التطيب لنية فاسدة:

قال ﷺ: "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ" ^(٦)، فمن نوى حين تطيب، أن يفخر على الناس بعطره؛

(١) النسائي ١٥٣/٨ رقم ٥١٢٦.

(٢) النسائي ١٥٥/٨ رقم ٥١٣١.

(٣) النسائي ١٥٣/٨ رقم ٥١٢٧.

(٤) ابن ماجه ١٣٢٦/٢ رقم ٤٠٠٢.

(٥) عبد الرزاق ٣٧٠/٤ رقم ٨١٠٧.

(٦) البخاري ٣/١ رقم ٣، مسلم ٥١٥/٣ رقم ١٩٠٧.

يكن آثماً. ومن نوى أن يتطيب، ليكرم الملائكة؛ يكن مثاباً على نيته.

فالتطيب بنية فاسدة يجعل التطيب معصية، كالمراة التي تتعطر ليجد الناس ريحها، وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال: "من تطيب لغير وجه الله؛ جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة" (١)، وروي عنه ﷺ أنه قال: "إن بني إسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت، تباهوا في الحلية والطيب والنساء والثياب" (٢).

فينبغي للمسلم أن يقصد بتطيبه الخير، وأن يجتنب النية الفاسدة التي تفسد العمل وتعرض صاحبها للعقاب.

(٣) يحرم الطيب على المحرم بحج أو عمرة:

قال ﷺ عن المحرم: "لا يلبس القميص ولا العمامة ولا السراويل ولا البرنس ولا ثوباً مسه الورس أو الزعفران" (٣)، وأجمع العلماء على أن المحرم ممنوع من الطيب (٤)، وسئل النبي ﷺ من الحاج فقال: "الحاج التفل" (٥).

والتفل: هو ترك التزين والتطيب، وذكر بعض الفقهاء أن علة تحريم الطيب على المحرم؛ كون الطيب يثير الشهوة ويذكر بالنساء، والحاج يبطل حجه بمعاشرة النساء؛ فيحرم التطيب سداً للذريعة وعملاً بالنص.

(٤) يحرم تطيب من مات محرماً:

سبق أن ذكرنا أن الطيب محرم على المحرم أثناء إحرامه، وذلك بإجماع العلماء، فكذلك يحرم تطيب من مات محرماً؛ لحديث ابن عباس رضي الله عنه: أن رجلاً وقصه بغيره، ونحن مع النبي ﷺ، وهو محرم فقال النبي ﷺ: "اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبيه، ولا تمسوه طيباً، ولا تخمروا رأسه؛ فإن الله يبعثه يوم القيامة ملبياً" (٦).

(١) عبد الرزاق ٣١٩/١ رقم ٧٩٣٣.

(٢) ذم الدنيا ٢١/١ رقم ٢٠.

(٣) البخاري ٦٢/١ رقم ١٣٤، مسلم ٨٣٣/٢ رقم ١١٧.

(٤) المغني ٢٩٦٣.

(٥) الترمذي ٢٢٥/٥ رقم ٢٩٩٨، ابن ماجه ٩٦٧/٢ رقم ٢٨٩٦.

(٦) البخاري ٤٢٦/١ رقم ١٢٠٨، مسلم ٨٦٥/٣ رقم ١٢٠٦.

٥) يحرم الطيب على المعتدة لموت زوجها:

لقوله ﷺ: "لا تحد امرأة على ميت فوق ثلاث، إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً، ولا تلبس ثوباً مصبوغاً إلا ثوب عصب، ولا تكتحل، ولا تمس طيباً، إلا إذا طهرت نبذة من قسط أو أظفار"^(١) فمن مات زوجها، وجب عليها الحداد في عدتها. والحداد: هو ترك الزينة والطيب، وعدم الخروج من البيت إلا لضرورة؛ وذلك وفاءً للزوج. إلا أنه يجوز للمرأة المعتدة من وفاة زوجها، بعد أن تتطهر من الحيض، أن تستجمر بعود أو بخور كما قال ﷺ: "إلا إذا طهرت نبذة من قسط أو أظفار"^(٢).

٦) يحرم الزعفران للرجال:

قال أنس بن مالك ﷺ: "نهى النبي ﷺ أن يتزعفر الرجل"^(٣)؛ لأنه خاص بالنساء، إلا إذا أصاب الرجل شيئاً منه عند عشرته لزوجته، فيعفى عنه؛ لحديث عبد الرحمن بن عوف، وفيه: أن النبي ﷺ رأى عليه أثر صفرة الزعفران فقال: "ما هذا؟" فقال يا رسول الله إني تزوجت"^(٤)، ويشمل النهي عن التزعفر للرجال بدنه وثوبه، كما أن تطيب الرجل بالزعفران يبعد عنه ملائكة الرحمة قال ﷺ: "ثلاثة لا تقرهم الملائكة: جيفة الكافر، والمتضمخ بالخلوق، والجنب إلا أن يتوضأ"^(٥).

٧) يحرم التطيب بطيب المرأة بالنسبة للرجل والعكس كذلك:

قال ابن عباس ﷺ: (لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء، ولعن الله المتشبهات من النساء بالرجال)^(٦)، فمن تطيب من الرجال بطيب خاص بالنساء بنية التشبه، فهو ملعون، وتطيبه هذا محرّم، ومثل ذلك المرأة إذا تطيّبت بطيب الرجل بنية التشبه بالرجال. وأما إذا تطيب الرجل من طيب المرأة، جاهلاً أو مضطراً؛ لتغير رائحته وخاصة يوم الجمعة فلا بأس عليه لقوله ﷺ: "ويمس من الطيب ما قدر عليه ولو من طيب المرأة"^(٧). ومن خلال البحث والتأمل نجد أن الطيب ثلاثة أنواع:

(١) البخاري ٢٠٤٣/٥ رقم ٥٠٢٨، مسلم ١١٢٧/٢ رقم ٩٣٨.

(٢) سبق قريبا

(٣) البخاري ٢١٩٨/٥ رقم ٥٥٠٨، مسلم ١٦٦٢/٣ رقم ٢١٠١.

(٤) البخاري ١٩٧٧/٥ رقم ٤٨٥٣، مسلم ١٠٤٢/٢ رقم ١٤٢٧.

(٥) أبو داود ٤٧٩/٢ رقم ٤١٨٠.

(٦) البخاري ٢٢٠٧/٥ رقم ٥٥٤٦.

(٧) مسلم ٥٨١/٢ رقم ٨٤٦.

(١) طيب خاص بالرجال. (٢) طيب خاص بالمرأة. (٣) طيب مشترك وعام.
وعليه فإن تطيب الجنسين من الثالث مباح.

والفرق بين عطور الرجال والنساء معلوم، كما قال ﷺ: "ألا وطيب الرجال ريح لا لون له، ألا وطيب النساء لون لا ريح له" (١)، وخص بعض العلماء هذا بطيب المرأة إذا أرادت الخروج من البيت أما بداخله فتتطيب بما شاءت.
ومما يفرق بين العطرين عرف الناس وعاداتهم، فما كان من العادة أن تتطيب به النساء فقط فلا يجوز للرجال، والعكس صحيح؛ لأن ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن.

٨) يحرم اتباع الجنائز بمجمرة:

وسبب التحريم في ذلك هو التشبه بأهل الكتاب، وقد وردت الآثار عن السلف بالمنع من اتباع الجنائز بالمجامر منها: ما روي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أنها قالت: (إذا مت فلا تتبعوني بمجمرة) (٢)، وأوصى أبو هريرة رضي الله عنه وسعيد بن المسيب بمثل ذلك (٣)، وشهد سعيد بن جبير جنازة متبوعة بمجمرة، فرمى المجمرة وكسرها، وقال سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول: (لا تشبهوا بأهل الكتاب) (٤).

٩) يحرم استعمال الطيب في أواني ومجامر ذهب وفضة:

قال ﷺ: "لا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها" (٥).

فيحرم استعمال الذهب والفضة في الأكل والشرب بإجماع العلماء، ويقاس على ذلك سائر الاستعمالات منها: وضع الطيب في أوانيها، أو التجمر بمجامر من ذهب وفضة؛ لأن التطيب فيها استعمال لا تدعوا إليه الحاجة، وفيه كسر لقلوب الفقراء والمساكين، وهذا التحريم يعم الرجال والنساء وإنما أبيض للنساء التزين بهما؛ لحاجتهن إلى ذلك (٦).

١٠) يحرم شم طيب الأجنبية والأجنبي:

خروج المرأة من بيتها متعطرة محرم، فإن قصدت أن يشم الرجال عطرها كانت الحرمة أشد،

(١) أبو داود ٤٤٦/٢ رقم ٤٠٤٨، الترمذي ١٠٧/٥ رقم ٢٧٨٧.

(٢) إسحاق بن راهويه ١٣٧/٥ رقم ٣٩.

(٣) الموطأ رواية ابن الحسن ٩٤/٢ رقم ٣٠٨، عبد الرزاق ٤١٨/٣ رقم ٦١٥٣.

(٤) عبد الرزاق ٤١٩/٣ رقم ٦١٥٩.

(٥) البخاري ٢٠٦٩/٥ رقم ٥١١٠، مسلم ١٦٣٧/٣ رقم ٢٠٦٧.

(٦) مغني المحتاج ٢٩/١، الإقناع ٢٧٣/١، الروض المربع ١٥/١، فتح الباري ٩٧/١٠.

والرجل إذا تعمد شم ريحها وقع في الحرام، وخاصة إذا تلذذ به وتحركت شهوته، فإن شمه بدون قصد، فيندب له الابتعاد عنه ما أمكن، قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه : (لئن تمتلئ منخري من ريح جيفة، أحب إلى من أن تمتلئ من ريح امرأة) ^(١).
ومثله في هذا الحكم المرأة، فلا يجوز لها أن تتعمد شم طيب الأجانب، وخاصة عند التلذذ والشهوة؛ سداً للذريعة وإغلاقاً لمداخل الشيطان.

١١) يحرم التطيب بطيب محرم في ذاته أو وصفه:

كأن يكون الطيب: نجساً أو مسروقاً أو مغصوباً أو أخذ حياءً بدون طيبة نفس صاحبه، فالتطيب في هذه الصور محرم، ولو قصد المتطيب فيها خيراً.
ومن المشاهد أن كثيراً من الناس يذهبون إلى العطارين، ويتطيبون من عطور لا بقصد التجربة، وإنما للتطيب فقط، وهذا قد يحرم بهذه النية، أما لو أعطاك العطار ذلك، أو عرضه عليك فلا بأس؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : "إنما مثل المجلس الصالح والمجلس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة" ^(٢).

(١) ابن أبي شيبة ٧/٤ رقم ١٧٢٢٩، الورع لابن أبي الدنيا ١/٧٤ رقم ٨٩.

(٢) البخاري ٢/٦٤١ رقم ١٩٩٥، مسلم ٤/٢٠٢٦ رقم ٢٦٢٨.

الفصل الخامس

متى يُكره الطيب؟

في الفصل السابق ذكرنا متى يحرم على المرء التطيب، وفي هذا الفصل نعدد متى يكره التطيب:

(١) يُكره التطيب عند الخروج لصلاة الاستسقاء:

قال ابن عباس رضي الله عنه: "خرج رسول الله ﷺ للاستسقاء متبذلاً متواضعاً متخشعاً متضرعاً حتى أتى المصلى ^(١)، فالسنة في هيئة من يخرجون لطلب الغيث، أن تظهر عليهم آثار الذل والمسكنة، لذا يكره التطيب؛ لأنه يتنافى مع تلك الهيئة، ولكن هذا لا يعني عدم النظافة، فالمسلم نظيف على كل أحواله، فلا مانع من الاغتسال وقطع روائح الجسد، وإنما يكره الطيب والترين؛ لما فيه من مخالفة سنة النبي ﷺ في هيئة الخروج لصلاة الاستسقاء ^(٢).

(٢) يكره التطيب للصائم:

كره بعض أهل العلم أن يتطيب الصائم؛ لأن الطيب يثير الشهوة ويقوي البدن، وهذا يتعارض مع حكم الصوم التي منها كسر شهوتي الفرج والبطن، وقالوا: بأن الطيب من الترفه الذي لا يليق بالصائم. ويرى بعض العلماء: أن استنشاق البخور يحرم على الصائم، فإن فعل ذلك أفطر، ولحقه الإثم، وعليه القضاء، بينما يرى بعضهم: جواز التطيب للصائم للبراءة الأصلية وعدم ورود ما يمنع منه ^(٣).

(٣) يكره التطيب للمعتكف:

الاعتكاف انقطاع للعبادة، وابتعاد عن شهوات الدنيا، تبطله أشياء منها: معاشررة النساء، لذلك كره بعض الفقهاء التطيب للمعتكف؛ لأنه من دواعي الجماع، وسئل الإمام أحمد عن الطيب للمعتكف فقال: لا يعجبني أن يتطيب؛ لأن الاعتكاف عبادة تخص مكاناً، فكان ترك الطيب فيها مشروعاً كالحج، بينما أجاز غيره التطيب، قياساً على ترجل النبي ﷺ وهو معتكف

(١) أبو داود ٣٧٢/١ رقم ١١٦٥، الترمذي ٤٤٥/٢ رقم ٥٥٨.

(٢) الأم ٣٨٨/١، المغني ٢/٢٨٣، مغني المحتاج ٣٢١١١.

(٣) مراقي الفلاح ٢٤٦/١، فقه الصيام للحداد ١/١٨٣. فقه السنة ١/٣٠٩، المهذب ١/٣٤٩.

(١)، ويلحق بهذا مسألة خروج المعتكف يوم عيد الفطر، هل يخرج بشيابه التي اعتكف فيها أم له أن يبدلها ويتطيب؟

فقال بعض الفقهاء: أنها ثياب طاعة وقرية، فيستحب بقاؤها، ويرى البعض الآخر باستحباب لبس ثياب جديدة مطيبة؛ لأنه يوم عيد ومن السنة إظهار التزين والتطيب، قال الإمام مالك: سمعت أهل العلم يستحبون الطيب والزينة في كل عيد، والإمام بذلك أحق؛ لأنه المنظور إليه من بينهم، إلا أن المعتكف يستحب له الخروج في ثياب اعتكافه، ليبقى عليه أثر العبادة والنسك (٢).

٤) يُكره تطيب من ماتت وهي معتدة لوفاة زوجها:

المرأة المعتدة لوفاة زوجها، يحرم عليها أن تمس الطيب، ولكن إذا ماتت هذه المرأة أثناء عدتها وحدادها، هل يُمس جلدتها وكفنها بالطيب أم لا؟
فيرى فريق من العلماء: بأنه لا تقرب الطيب؛ لأنها ماتت وهو محرم عليها، قياساً على من مات محرماً بالحج.
ويرى آخرون بجواز تطيبها؛ لأنها منعت من الطيب لحق زوجها وفاءً له، ولئلا يتشوف إليها الرجال بالزواج، وقد انقطعت هذه العلة بموتها (٣).

٥- يرى بعض الفقهاء كراهية تطيب الكعبة موسم الحج:

قال الإمام مالك: (أرى أن يقام العطار من بين الصفا والمروة وألا تخلق - تطيب - الكعبة) ؛ وتعليل ذلك حتى لا يمس المحرم طيبها (٤).

٦- يُكره شم الطيب أو حمله أو المكوث عند العطور للمحرم بحج أو عمرة، ويرى بعض الفقهاء أن من تعمد شم العطور أو المكوث عندها أنه ارتكب محظوراً وتلزمه الفدية (٥).

٧- يكره التطيب بطيب اختلف الفقهاء في جواز التطيب به: كأن يختلفوا في أصله هل هو نجس أم طاهر، أو كالتطيب من طيب رجل أكثر ماله من الحرام، وغير ذلك من الأمثلة.

(١) المغني ٣/١٤٩، الأم ٢/١٤٧، المدونة الكبرى ١/٢٩٤، المبسوط ٣/١٢٥ فتح الباري ٤/٢٧٣.

(٢) المغني ٢/٢٢٨، الإنصاف ٢/٤٢٠، الإقناع ١/١٩٩.

(٣) المهذب ١/٢٤، الكافي ١/٢٥٩، مغني المحتاج ١/٣٢٩.

(٤) المدونة الكبرى ١/٤٥٥، الاستذكار ٤/٣٤.

(٥) المبسوط ٤/١٥، المهذب ١/٣٧٤، الاستذكار ١٤/٣٥١٤، الكافي ١/٤٨٥.

تم بحمد الله تعالى.